

الحقبة الثالثة

بداية جديدة

من الجميل أن تجد من يستمع إليك، يهون عليك، يواسيك، والأجمل أن يكون ذلك هو الأخ أو الأخت، وعندما تشتاق إلى أن تتحدث معه تجده يلبي نداءك دون أي تردد .

- مين بيخبط؟ قالها يوسف بنرة يعتليها الغضب.

- أنا سديم.

- في حاجة؟

- محتاجة أتكلم معاك.

تدخل سديم الغرفة وترى يوسف قد اشتاط غضباً من حديث والده.

- مالك يا يوسف؟

- يعني مش عارفة مالي....كلام بابا وكل مرة يحرق فيها دمي

اقتربت منه قليلا وربتت بيدها على كتفه قائلة:

- علشان يا حبيبي هو بيحبك وخايف عليك...وبعدين يا يوسف إنت زودتها شوية و.....

لم تكمل جملتها ليقاطعها يوسف لينهال عليها بكلماته الحادة مثل السيف

- إنتي إزاي تتكلمي معايا كذا.... إنتي نسييتي نفسك إني أنا الكبير ولا إيه...والله عال، الصغيرين بقوا يتكلموا....امشي روعي على أوضتك مش عايز أشوفك.

تخرج سديم من غرفتها وقلبها منكسر كقطع الزجاج المبعثر على الأرض تجهش نفسها بالبكاء.ارتمت

على سريرها، احتضنت وسادتها، وتمنت لو كان لديها أخ يسمعها و تشتكي له، تبوح له عما بداخلها

يكون لها المأوى وقت الصعاب، تمنت لو كان يوسف قادراً على احتوائها فهي كمثّل باقي الفتيات تتمنى

أن يكون لها أخ يحتوي ما بها من أوجاع وآلام.

أرادت أن تقول له إن أحد الشباب أراد أن يأتي ليتقدم لها وفضلت أن تأخذ رأي أخيها الأكبر قبل

أبيها....قامت وفتحت حسابها على موقع التواصل الاجتماعي لتكلم صديقتها إسرائ لتخبرها أن الأمر لم

يفلح...وما كان من الأخرى إلا أنها أسرعت بالرد عليها تنصحها بأن تعرض الأمر على مريم لتأخذ

برأيها

لحظات قليلة حتى أرسلت سديم لمريم تقول

- السلام عليكم مريم محتاجكي ضروري ومش هينفع فيس ممكن نتقابل في الكلية؟

ردت عليها بالموافقه وتم تحديد الموعد

وكعادته يستيقظ متأخرا ليلى نداء شهواته **وملذاته**، استقيظ ليجد والدته تعاتبه **على** ما بدر منه **أمس** لتتفاجئ بالرد الذي **أصاب** فؤادها

-خلاص ياماما قوليله مايتركلمش معايا

يترك والدته وحدها وينصرف... لا تدري والدته ماذا حل **لابنها**؟ تسأل نفسها: أهذا يوسف الذي كان يقبل يدي ورأسي؟ أهذا ولدي الذي كان سبب فرحتنا في منزلنا؟...وتسقط دمعاتها رغما عنها ولا تملك **إلا أن** تدعو له بالصلاح

--

وصلت سديم **إلى** الجامعة

- إنتي فين يا بنتي
- عند الكافيتيريا مستنياكي

تلقتي سديم بمريم ويجلسان سويا... شعرت سديم **أنها** بين **أيدي أمينة** لتبوح لها عما تخفيه ولا **تعرف** أهذا صحيح **أم** ماذا؟

بدأت سديم في سرد قصتها مع عمرو زميلها منذ **أن** كانت في الثانوية العامة لتخبرها **أنها على** علاقة به **إلى الآن**؛ **لأنها** لم تشعر **بالأمان إلا** معه ولا تجد من يسمعها **إلا** هو فتعلقت به تعلقا شديداً **وذكرت** لها **أنه** **أراد أن يأتي** لخطبتها ولكنه **خائف أن** يتم رفضه بسبب حالته المادية..وعندما عازمت **على** إخبار أخيها حدث لها ما حدث معه...لحظات قليلة **حتى** انفجرت من البكاء.....بكت سديم **على** حالها؛ **لأنها** تشعر **أنها** وحيدة، لا تدري ماذا تفعل؟

مدت مريم يدها تمسح دمعات صديقتها التي تسالت من بين جفونها وشدت علي يدها وقالت:

-أولا ياسديم يا حبيبتي ماينفعش يكون بينكم أي كلام خالص ولا فون ولا فيس ولا أي اتصال بدون ارتباط شرعي لحد ما ربنا يا حبيبتي يكرمكم مع بعض.

وأخذت مريم تتحدث مع سديم عن الله وحب الله ورسوله **حتى أصاب** كلامها فؤاد سديم فقررت من تلك اللحظة **أن** تترك كل **شيء من أجل** الله....قامت سديم **وأرسلت** رسالة مفصلة لعمرو تخبره عن **قرارها** **وأنها** سوف تدعو الله **إن** كان **الأمر** خيراً.....**أنهت** رسالتها وتطلب سديم من مريم طلباً بل هو رجاء فقالت:

- مريم ممكن ماتسبنيش أبدا نفسي أقرب لربنا أوووي أنا كنت بشوفك معايا في القسم بس كنت بخاف منك مش عشان النقاب بس مش عارفه بس دلوقتي أنا بحبك أوووي أكثر حد بحبه

تبتسم مريم مخلفة **احمرارا على** وجنتيها خلف نقابها وتقول:

-**أنا بقى** اللي حبيتك **أووي**...بس أنا كيوت والله مش بخوف.

انتهى اللقاء الذي كان بداية لصداقة أبدية إلى الممات، هكذا تعاهدت مريم وسديم ..ثم صعدتا سويا لاستكمال باقي المحاضرات.

تدرس كل منهما في كلية الآداب جامعة عين شمس.

- يوسف إهدى شوية إنت ماشي بسرعة يا مجنون هاتموتنا قالتها صديقتة.

-إنتي بتخافي ولا إيه وبعدين جمدي قلبك كدا.

يوسف !!! حاسب....حاسب

لحظات قليلة وفقد يوسف السيطرة على سيارته لتتقلب بهما علي الطريق السريع.....

الفصل الرابع

(المصير)

قد تكون لحظات قليلة تفصلك عن عالمك المنتظر.... لحظات **وترى** نتيجة عملك في تلك الدنيا الفانية، لا يغرنك حلم الله ولا يغرنك **إمهاله** لك **فقد** يعطيك الفرصة مرة **واثنتين** ولكن نفسك تدعوك للعصيان فألجم شيطان نفسك **حتى** تنجو بها **إلى** الجنة.

يرن هاتف المنزل وترد **الأم على** المتصل لتسقط **مغشياً** عليها.... تسرع سديم **إلى** والدتها لتمسك بسماعة الهاتف **وتتلقى** خبر أخيها **بأنه في المشفى** في حالة حرجة ... تتصل سديم بوالدها لتخبره بما حدث لأخيها يصل والد يوسف كالمجنون **إلى المشفى** لا يدري كيف وصل بهذه السرعة **إلى** هناك ولكن كل ما يشغل باله هو الاطمئنان **على** ابنه الوحيد.

يسأل عليه في قسم الاستقبال ليخبروه **أنه الآن** داخل العناية **المركزة** فحالته حرجة لا تسمح بالانتظار.. يسأل **الطبيب** المسؤول ويطلب منه **أن** يشرح حالة ابنه يتفاجئ والد يوسف من كلام الطبيب كيف لابنه **أن** ينجو من ذلك الحادث ولكن هذا مراد الله أراد له **النجاة** لعله يتعظ

يخبر الطبيب والد يوسف بوفاة الفتاة التي كانت معه.. يبكي رغماً عنه **على** ما وصل **إليه** ابنه... يحدث نفسه قائلاً.. كيف لو كان ابني الذي مات بدلاً منها وما مصيره؟ فاللهم **اهد** ابني ورد **إليه** رشده تصل الأم وسديم إلى المشفى بعد أن استعادت بعضاً من قوتها لتصرخ قائلة:

-عاوزه أشوف ابني وروني ابني

يضمها زوجها بين ذراعيه و يقبل رأسها و يخبرها أنه داخل غرفة العمليات لسوء حالته

ساعات الانتظار طويلة تكفي بأن تمزق قلوبهم من الخوف على يوسف تتذكر سديم كلام مريم فتسارع لأخذ مصحفها من حقيبتها وتفتحه و تبدأ في قراءة سورة يس ...تقوم الأم بالدعاء والتوسل إلى الله تبارك وتعلي... الأب ليس له حول ولا قوة

بعد مرور ما يقارب من خمس ساعات يخرج الطبيب ليخبرهم بما لا تطيق له الأنفوس.... رحل يوسف.. نعم رحل إثر هذا الحادث المروع

حالة من الصدمة على والده... تفقد والدته قوتها و تلقي بجسدها على ذلك الكرسي... تنهار سديم وترتمي بين أحضان والدتها... يتمالك الوالد نفسه و يقوم بإنهاء الإجراءات المطلوبة واستخراج تصريح الدفن يصل الخبر إلى إسلام صديق طفولته و ينهار من البكاء فهو يعلم ما مات عليه صديقه، ترى ماذا يصنع في قبره وهو وحيد ولا أنيس ولا جليس ولا حتى عمل خير ينجيه... يجلس إسلام على أقرب كرسي بجانبه فهو مازال تحت تأثير تلك الصدمة... يستجمع إسلام ما بقي من قوته ليذهب مسرعاً إلى المشفى.

يستأذن إسلام والد يوسف ليقف على غسل صديقه تتساقط دموعه حزنا على صديقه ينظر إليه ويبكي ويبكي.... دائما كان يراه عابس الوجه عندما يلتقيه فلم تعرف الابتسامة وجه يوسف منذ فترة..

انتهى غسل يوسف ثم شُيعت جنازته إلى المسجد ليتم الصلاة عليه... لم يدخله على رجله من قبل فدخله اليوم محمولا على الأعناق... اشتكى المسجد من هجره إليه ..

يبكي إسلام على صديقه على هجره لطاعة ربه فيدعو الله أن يخفف عنه ما به

يجلس إسلام في السيارة التي تحمل جثمان يوسف إلى مثواه الأخير .. يتحدث إسلام بصوت مهموس قائلا

- ياما نصحتك يا يوسف ياما قولتلك الموت ما يعرفش صغير ولا كبير يا ما ذكرتكَ بقدرة ربنا يااااه يا يوسف

ويدخل في نوبة من البكاء الهستيري.. لما يعلم ما ينتظر صديقه

تتوقف السيارة قرب المقابر... يسمع إسلام بكاء حوله من أقارب يوسف وأصدقائه

لحظات قليلة ويضم القبر يوسف ضمة موحشة تكسر العظام..... يدعو والده ربه أن يخفف عنه.. ولكن كيف النجاة إذ لم تكن مستعداً بأعمال تنجيك منه... جميع الحضور يعرفون ما كان عليه يوسف وكيف كان لموته عظة كبيرة لجميع أصدقائه.

غاب أصدقاء السوء عن الحضور فمن المؤكد أن قلوبهم لاتستطيع أن تتحمل رؤية القبر وظلمته. بعد الانتهاء من وضع يوسف في مكانه طلب إسلام من الجميع أن يدعوا له بظهر الغيب لعل دعوة أحد الصالحين تكون سبباً في تخفيف ما قد يلاقيه.

لحظات وتم إغلاق المكان عليه، تركوه وحيداً فلا يملكون له ضراً ولا نفعاً فكما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - "يتبع الميت ثلاث أهله وماله وعمله، يرجع اثنان و يبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله"

ترى ما أغنى عنه ماله وجماله، لم يغنيا عنه شيئاً.

لحظات قليلة ويغادر الجميع و يتركونه وحيداً

كأن يوسف يشعر بهم و كأنه يسمع من يقول له

- قوم يا يوسف..... قوم يا يوسف.